العدد 2363 - السنة الثامنة
الأربعاء 3 ربيع الآخر 1437 - الموافق 13 يناير 2016
Wednesday 13 January 2016 - No.2363 - 8th Year

إعداد : ياسر السيد

قد يصل التنافس بين الناس إلى التباهي والتنافس على أشياء زائلة

« قد أفلح من زكاها »

لعل التنافس عند الناس لم يعد مقتصرًا على الملابس الظاهرية فقط، بل تعدى ذلك أيضًا إلى وسائل صُنعت خصّيصًا لإبعاد الضرر وتحسين الرؤية؛ كالنظارات الشمسية مثلاً، فبتنا نرى نساء هذا الزمن، بل وحتى رجاله، يُنافس أحدُهم الآخر ويباهيه بالسّبق في ارتداء أفضل الماركات العالمية المشهورة؛ من النظارات الشمسية الساطعة، حتى ولو كانت الشمس قد غربت! فها هي الوسيلة تتحول إلى غاية كبرى، وها هي الرؤية تتعدم بدلاً من أن تتجلى لتوضح لنا الصورة أكثر!

وقد يصل التنافس بين الناس أيضا – وقد وصل بالفعل – إلى التباهي والتسابق في وسائل صُنعت خصّيصًا لجعلهم يتواصلون أكثر؛ لكي يتلاقوا بشكل أكثر فاعلية عند الضرورة، وعند انعدام طرق اللقاء، فوصل هذا التنافس الفجّ وتلك المباهاة الفارغة إلى الهواتف الخليوية، التي كانت بالأمس تقتصر على كونها وسيلة للاتصال، وبانت هواتف اليوم وسيلة لفخر بها ويتباهى على الناس من يملك الأفضل والأثمن، أو الأكبر والأحدث!

تتبعني التأملات، فأوقفها وأدفعها عني، وأراني أقع في مطبّ عميق ومزلق دقيق، وتتجاذبني الحيرة بقطبيها المتنافرين: أعيش بين الناس وأحتك بهم وأصبر على تناقضاتهم وتغيراتهم التي تزداد يومًا بعد يوم ميولاً نحو الأسوأ؟ وأقصد بهذا تغيّر طبيعة التعامل وتلوّن الطبائع، وانعدام الحس، وتقديم المصالح الشخصية والمظاهر الزائفة على كل الأمور الباقية، حتى ولو كانت تلك الأمور شرائع دينية، أو مبادئ أخلاقية، أو مشاعر أخوية صادقة، ومحبّة قديمة في الله توطدت جذورها منذ أمد بعيد، بل وحتى قرابة وصلة رحم أحيانًا، فحلت المصالح الدنيوية السّباقة، وضغائن الكره والأحقاد السوداوية واقتلعتها؟

أأصبر على الجفاء، وعلى مبادلة المعروف بالأذى، وأبقى معهم على تواصل، مع أن التواصل معهم لم يعد يوصلني إلا إلى مزيد من الإحساس بتوسّع الفجوة والانفصال والتنافر والتهليل في الوصال، وإلى مزيد من الرغبة في الانسلاخ عنهم والأبتعاد أكثر حد العُزلة؟! نعم، حد العُزلة، وأعني ما أقول؛ فكل ما جنيته من الاقتراب من الناس كان ولا يزال يلوح لي بمزيد من الصدمات والإنتكاسات والتلوّنات، ويزيدني إيحاءً، بل ويؤكد لي صحّة رغبتي، وسلامة ميولي وانجذابي نحو قطب الابتعاد! أأبقى إذا قربهم، وأستقبل الأدران وأرحب بالتلوث، أم أبتعد بصمت؛ توخيًا للسلامة، واهجرهم ذاك الهجر الجميل؟

مع هذا كله، اختار القرب أحيانًا ممن أحبهم، رغم آلامهم، وأجدد الصبر والنية، وأحاول أن أصفح وأسمح وأسامح، فتتوسع حيرتي، وأبقى ضائعة بين الخيارين الجديدين المتجليين في القرب من الناس: أتكلم بالحقائق وأتألم، أم أصمت عنها ومنهم أتعلم؟ أأبقى بينهم كالفرخ العجيب، الآتي من فصيلة أخرى عجيبة؛ لأنه لا يُخفي ذاته الحقيقية، بل يبديها ويُعلنها، ويسعى لكي تعم الدنيا معاني الصدق والحقيقة، والتشبّع بالحقائق؛ كل الحقائق؟ أم أحاول التلوّن قدر استطاعتي، كما يفعلون، والتأقلم مع المحيط الملوّث الذي فيه يرتعون، فأبسم وأنا أتجرّع سموم النفاق، وأضحك وأنا أسمع كلمات المجاملة السّمجة المتعارف عليها؟

ولكي أكون أكثر وضوحًا وصدقًا؛ سأحدد سبب ضياعي وحيرتي؛ فضياعي ليس وليد صعوبة الخيارين، أو توازي أهميتهما بالنسبة إليّ، فالأقرب إلى قلبي كان ولا يزال وسيبقى هو الانصياع للصدق وللحقيقة والحق أينما كان، ومهما كانت ضريبته، ومُعاداة الكذب والأوهام والنفاق والأهواء والباطل، مهما كان متمقا ومزخرفا بشتى أنواع الجواهر البرّاقة والحلي المزيفة، التي لا ولن تحلو لي!

فسبب ضياعي ليس الخيارين السابقين في حدّ ذاتهما، بل ما يترتب عليهما؛ فأما ما يترتب على كلامي والتألم بسبب صد الناس واستهجانهم لصورة الحقيقة والبياض، فهو بلا شك موصلي إلى مزيد من الرغبة بالانقطاع عن الناس، والهرب بالحقيقة، وبهذا أكون قد سلمت واستسلمت، واسهمت بدوري في تكاثر السواد بتركه يسرح ويمرح، ويتوسع على هواه وسداه، وهذا جل ما أرفضه وأخشاه وأتحاشاه! وأما ما يترتب على صمتي وإنجرافي مع التيار الجارف، والتعلم منه، فهو بلا شك ليس موصلي فقط إلى اعتزال الناس وهجرانهم، بل وحتى إلى اعتزال نفسي وكرهها، واحتقارها أشد الاحتقار!

ماذا إذا؟! ماذا أختار؟ أختار القرب عن بُعد، أختار الوصل الموزون، الذي لا يتصل ولا ينفصل؟ ولا أعني بذلك الوصل الرمادي الحيادي الذي يدمج بين الحق والباطل، بين البياض والسواد؛ على العكس، بل أعني به ذلك الوصل للحمود، الذي لا يوصل لي شيئا من الأدران أو التلوث، والمنافسات غير الشريفة التي تبعدني عن الغاية الكبرى، أو احتمالية تشرّب أيّ منها، ويضمن لي سلامة إيصال الحقيقة، مع بقاء احتمالية استمرار الألم، وضرورة تحمله بالمجاهدة والصبر على الأذية والأضرار، وهذا هو الوصل للحمود، والمخالطة الإيمانية المحبّبة التي أوصانا بها رسولنا الكريم، حين قال عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على اذاهم خيرٌ من الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على اذاهم)). فكيف نخالط الناس إذا؟! ولماذا نخالطهم؟ أما كيف؟ فبالإحسان وبالحسنى وبالتي هي أحسن، وأما لماذا؟ فلننصحهم ولنفيدهم، ولنتلقى منهم النصح والفوائد المتبادلة، التي تخلو من المصالح الأنانية والأطماع السوداوية الفاسدة؛ ليثري بعضنا بعضًا، وينفع بعضنا بعضًا، ولنبعد عنهم الضرر والأذى الذي يغفلون عنه، ويُبعدوا عنا بدورهم كل ما غفلنا عنه من أضرار أو أذى تخفى خلف الضارّ المقنّعة بقناع المنفعة الزائفة، فنتآزر ونتكامل ونتعاون؛ كما أمرنا الله جل وعلا في كتابه الكريم حين قال جلّ من قائل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2].

فإن لم نستطع أن نتعاون، وإن لم يستطع أحدنا أن ينفع الآخر، فعلى الأقل نخالط الناس مخالطة لا نضرهم فيها ولا يضرُّوننا، مع أن هذا في الحقيقة ليس له واسع المجال؛ فنحن بشر، والكمال فينا أمرٌ مُحال! مع هذا، نبقى نسعى لكي نحسّن الصورة من الداخل والخارج، فنُنقي السريرة قبل الظاهر، ونحب للناس ما نحب لأنفسنا، ونتمنى لهم الأفضل والأحسن والأصلح؛ لأنهم حين يختارون الأفضل والأصلح سنكون كلنا في أفضل حال، وسنُصلح حالنا.

لنتزع من جذور أفكارنا فكرة صراع البقاء التي تشرّبناها من تعاليم الغرب وتعريفاته الفاسدة لمصطلحات الكون وغاية الوجود.. كلا، ليس البقاء للأقوى والأسبق؛ بل للأنفع والأصلح، وإن كان لا بد للقوة والسبق من دور في توطيد البقاء وضمانه، فستكون تلك القوة في الإيمان، وذاك السبق في الخيرات وفي نمي الرّفعة والنفع والنجاة والفلاح لكل إنسان، وليس المفلح الذي يدوس على إخوانه وعلى المبادئ والمصالح الأخرى لكي يصل، بل المفلح بحق هو الذي يسعى ليصل ويوصل الكل معه إلى بر الأمان، وهو الذي يدل الناس على الحق والحقيقة التي استيقن منها إذا ما رآهم لا يزالون في شك منها، أو هم عنها في عمى وغفلة، ويستدل منهم على ما غفل عنه هو الآخر من أجزاء الحق والحقيقة التي لا تتجزأ، والتي لا تقبل أي زيادة أو نقصان.

لقد خلقنا للتآلف والتعارف، لا للتقاتل والتصارع، أمرنا بالتعاون على البر والتقوى، لا بالتسابق والتناطح على سراب الدنيا وزينتها الزائفة الزائلة، ونهينا عن القاذف باللمزات وبالضربات وبالأحقاد؛ فالحقد نارٌ موقدة، تأكل من فضائل الأنفس، ولا تحرق في البداية والنهاية إلا حاملها.

بون شاسع بين الكلمتين

الفرق بين الهدية والرشوة

الهدية في اللغة هي إكرام شخص ما لمحبة أو صداقة أو حاجة، وإصطلاحاً هي دفع عين إلى شخص معيّن من غير طلب ولا شرط. والهدية من السُّنن النبوية الشريفة التي غفل عنها الكثيرون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا)، فالهدية أمر محبّب، وهي تنزع الغل من الدور، وتعمل على دوام المحبة بين المتهادين. وقد جاء ذكرُ الهدية في القرآن الكريم، عندما خافت ملكة سبأ على نفسها ومملكتها من نبي الله سليمان عليه السلام؛ فأرسلت له هدية لستميل قلبه لتدفع الضر بها، قال تعالى (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ). أما الرشوة فهي في اللغة أطلقها العرب على الدلو إذا جُعل له رشاء أي حبل يوصل به إلى الماء، أما إصطلاحاً فهي ما يُدفع لإحقاق باطل أو إبطال حق، وما يدفع للحاكم لأخذ حكم بغير حق أو إيقاف حكم بحق. أي أنها طريق لتحويل الحق عن طريقه الصحيح، كأن يدفع أحد المقاولين مالاً ليرسو عليه العطاء؛ مع العلم أنه ليس صاحب أقل سعر في المناقصة، أو يدفع لحاكم مالاً ليحكم له بأمر باطل أو بما هو ليس من حقه. والرّشوة محرّمة شرعاً لما ورد من حديث ثوبان قال (لعن رسول الله الراشي والمرتشي والرائش)، الراشي هو دافع الرشوة، والمرتشي هو قابضها، والرائش هو الوسيط بين المرتشي والراشي، فجميعهم في الحكم سواء. ولا تُدفع الرشوة إلا في حال وجود مصلحة لقلب الحقائق، ولا تكون لصديق أو قريب، بل تكون لصاحب سلطة من صاحب مصلحة. في زمننا الحاضر؛ ومع انتشار الفساد في كل العالم؛ أصبحت الرشوة من الأمور المسلّم بها، لم تعد حراما ولم ترتق لمرتبة العيب حتى، أصبحت حاجة وضمانا للكثيرين من أجل استمرار حياتهم، ومع تزايد الغلاء؛ أصبحت الرشوة من مصادر الدخل التي يعتمد عليها الكثيرين، كل المبررات لا تجعل من الحرام حلالا مهما كانت، فالحلال بيّن والحرام بيّن، وقد حاول المثيرون تحريف الحق وقاموا بتسمية الرشوة بالهدية، حتى يخرجوا من باب التحريم، ولكنهم نسوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيّات وإنما ولكل امرء ما نوى)، فالهدية التي يُراد بها مصلحة لأي سبب كان هي رشوة بكل المعاني والمفاهيم، فلو لم تكن لهذا الشخص لما نال الراشي مبتغاه. وفي الحديث استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى بن الأتبية فلما جاء حاسبه قال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا، أي أن الهدية لم تكن لتهدى له لولا أنه في هذه المهمة التي أرسله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد هذه الحادثة قام رسول الله عليه الصلاة والسلام فخطب في أصحابه قائلا بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه ثم قال اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني).

الفرق بين الحمد والشكر

يعتقد البعض أن كلاً من الحمد و الشكر متشابهان في المعنى ، فهل لكلا الكلمتين نفس المعنى ؟ أم أن كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى اختلفت الآراء في ذلك ، فالبعض يرى أن الحمد و الشكر مترادفتان في معناهما ، و البعض الآخر يرى ان بينهما اختلافا القول الأول أن لا فرق بين الحمد والشكر ، و أن كلاهما بمعنى واحد ، وهذا ما اختاره ابن جرير الطبري وغيره فقد قال الطبري رحمه الله : « ومعنى(الحَمْدُ للهِ) : الشكر خالصا لله جل ثناؤه ، دون سائر ما يُعبد من دونه .... » ، ثم قال رحمه الله بعد ذلك : « ولا تمانع [أي : اختلاف] بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل : «الحمد لله شكرًا » بالصحة ، فقد تبيّن – إذ كان ذلك عند جميعهم صحيحًا – أنّ مواضع الشكر يصلح فيها النطق بالحمد لله، وأن الشكر يصلح بأن يوضع في مواضع الحمد ؛ لأن ذلك لو لم يكن كذلك ، لما جاز أن يُقال : « الحمد لله شكرًا القول الثاني و هو القول الذي يرى وجود فروق بين كل من الشكر و الحمد ، و من هذه الفروق أ. أن الحمد يختص باللسان ، بخلاف الشكر ، فهو بالجوارح والقلب و اللسان. 2. أن الحمد يكون في مقابل نعمة أو حتى بدونها ، بخلاف الشكر و الذي لا يكون ، إلا في مقابل وجود نعمة . و من ذلك ما قاله ابن كثير رحمه الله – في معرض رده على كلام ابن جرير السابق الذي سبق ذكره » وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين : أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، كما قال الشاعر : أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة ... يدي ولساني والضميرَ المحجّبا إضافة لذلك ، فقد اختلف بين الحمد و الشكر أيهما أعم ، و جاء ذلك في قولين ،فالحمد في مفهومه أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛و ذلك لأنه يكون على الصفات المتعدية و تلك اللازمة، فمثلاً تقول حمدته لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول ، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون بالنية و القول و الفعل ، كما تقدم . وهو أخص ؛ لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية ؛فتقول شكرته على كرمه وإحسانه إليّ ، و لا تقول شكرته علىفروسيته

دعاء الفجر

اللهم اني أسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها الفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم إني أسالك إيمانا دائما يباشر قلبي، وأسالك يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته علي، وارضني بما قسمته لي، اللهم اعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسالك الصبر عند القضاء، والفوز عند اللقاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء، اللهم إني انزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي، وقصر عملي، وافتقرت إلى رحمتك، فاسالك يا قاضي الأمور، وشافي الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور. اللهم وما ضعُف عنه رأيي، وقصر عنه عملي، ولم تبلغه نيّتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من عبادك، أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك، فإني راغبٌ إليك فيه وأسالكه يا رب العالمين، اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالّين ولا مضلين، حربا لأعدائك، وسلما لأوليائك، نحبّ بحبّك الناس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك. اللهم هذا الدعاءُ ومنك الإجابة، وهذا الجهدُ وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ذي الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسالك الأمنَ يومَ الوعيد، والجنّةَ يومَ الخلود، مع المقرّبين الشهود، الرّكّع السجود، والمُوفين لك بالعُهود، إنك رحيمٌ ودود، وأنت تفعل ما تريد. سبحان من تعطف بالعزّ وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه. اللهم اجعل لي نورا في قلبي، ونورا في قبري، ونورا في سمعي، ونورا في بصري، ونورا في شعري، ونورا في بشري، ونورا في لحمي، ونورا في دمي، ونورا في عظامي، ونورا في عصبي، ونورا من بين يدي، ونورا من خلفي، ونورا عن يميني، ونورا عن شمالي، ونورا من فوقي، ونورا من تحتي. اللهم زدني نورا، وأعطني نورا واجعل لي نورا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.